نيسان/أبريل 2016

السخرية السياسية في أعقاب ثورة 25 يناير: إعادة بناء مجال للتعبير المقاوم

دينا مندور*

أولاً : المقدمة والإطار النظري والتأصيل المفاهيمي

طرحت الثورات العربية عدة تساؤلات حول المجال العام كمساحة اجتماعية للتعبير والصراع السياسي. وللتعريف بالمجال العام يجب التَطرُق أولاً لمفهوم آخر وهو مفهوم الحقل. ويُعد بيير بورديو من أهم علماء الاجتماع الذين تناولوا مفهوم الحقل « Le champ »، حيث رأى أن تعدد الأنشطة داخل المجتمع أدى إلى ظهور العديد من الحقول الاجتماعية، كالحقل السياسي والحقل الفني والحقل الثقافي والحقل العلمي، إلخ.، والتي يكون لكل منها قواعده وتحدياته وتوازنات القوى الخاصة به.

ولكن أدت محاولة سيطرة السلطة الحاكمة وغيرها من الفاعلين على هذه الحقول – وعلى رأسها الحقل السياسي – إلي ظهور المجال العام، وهو المفهوم الذي تطور على يد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس.

ويمكن تعريف المجال العام بأنه « *ذلك الفضاء المستقل عن أجهزة السلطة الإدارية للدولة ذات الطبيعة التحكمية، الضبطية، الإكراهية (...). كما يمكن أن يندرج تحت هذا المفهوم ما يعرف الآن بمواقع التواصل الاجتماعي، أو ما يعرف بالساحات النقاشية في الحدائق والميادين العامة (...). هذا النوع من الفضاءات بحسب هابرماس، بدأ بالظهور في القرن الثامن عشر، وأخذ يتطور بوصفه فضاء متميز عن الدولة، بحيث يمكن للأفراد أن يتواصلوا عبره فيما بينهم كمواطنين مستقلين من أجل التداول*

* دينا مندور، طالبة دكتوراه في العلوم السياسية بجامعة باريس السربون 1.

والتفاهم حول الصالح العام، ومناقشة كافة القضايا السياسية والأخلاقية والاجتماعية، دون أن يغلب عليها الطابع البيروقراطي الإكراهي، بمعنى آخر: هو مجال العمل المشترك، والمسؤولية المشتركة، والمصلحة المشتركة، التي لا يختص بها فرد دون آخر، ولا تحتكرها مجموعة أو فئة دون أخرى، وتحكمها مجموعة قيمية تتقاسمها فئات المجتمع وأفراده ، بحيث يصبح ذلك المجال، مجالاً مفتوحاً يتمكن فيه كل المواطنين من التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم الثقافية والمعرفية، والسعي إلى تحقيق الاندماج والتفاهمات على الاقتراحات المقبولة من لدن الجميع[1] ».

إذاً فالمجال العام وفقاً للتعريف السابق يشتمل على بُعدين هما « *البُعد المادي والبُعد الرمزي* » (نوري، 2006)، ووفقاً للأول يُمثل المجال العام الأماكن العامة التي تدور فيها النقاشات السياسية والتفاعلات الاجتماعية، في حين يشير البُعد الرمزي – وهو البُعد الذي يهمنا أكثر في هذه الورقة – إلى المجال العام كسلطة في مواجهة الدولة (الجراح، 2015)، وشكل من أشكال العمل الجماعي (BESSE, 2006) التي تُكوِن مُجتمِعةً ما يُعرف ب« سجل الأفعال الجماعية – Répertoire d'actions collectives ».

وقد عرّف شارل تيلي سجل الأفعال الجماعية بأنه كافة أنواع التدخلات التي يلجأ إليها فاعل ما من أجل اسماع صوته في بيئة ما، ووفقاً لهذا التعريف تدخل المظاهرات والإضرابات والاعتصامات وغيرها من أشكال الاحتجاج في سجل الأفعال الجماعية. ولكن إلى جانب أساليب النضال المعتادة « Le militantisme à la Papa »[2]، أدى الاستمرار الدائم للأزمات والاضطرابات إلى ظهور أساليب للتعبير والمقاومة أكثر اعتماداً على الأداء المشهدي وعلى موروث تتقنه وتبدع فيه الجماهير باختلاف ثقافاتهم وتاريخهم والسمات العامة لكل منهم، فظهر جيل جديد من أدوات الاحتجاج بعيداً عن العنف والغضب على رأسها السخرية والتي تعتبر في الحالة المصرية « ممارسة طبيعية » (منير، 2015).

---

1 عبد الله المالكي، هابرماس.. ومجتمع ما بعد العلمانية، صحيفة التقرير، ابريل 2014.
http://altagreer.com/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B9%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%A7%D9%84-/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%85

2 Mikaël CHAMBRU, « Sébastien PORTE et Cyril CAVALIE, Un nouvel art de militer. Happenings, luttes festives et actions directes, *Éditions alternatives*, Paris, 2009, 144p. », *Revue Critique d'Ecologie Politique*, 2010. http://ecorev.org/spip.php?article741

وقد لعبت السخرية دوراً بارزاً خلال ثورة 25 يناير 2011، حيث مثلت آلية من آليات التعبيرات المساندة للثورة وجزء لا يتجزأ منها، وهو الدور الذي جعل منها ليس فقط أداة من أدوات الاحتجاج كما سبق وذكرنا ولكنها أصبحت في حد ذاتها تمثل مجالاً عاماً.

إن السخرية تُعد من أهم وسائل التواصل كما توجد كذلك علاقة وثيقة بين السخرية والخصومة (Hiller, 1983). وهنا يمكن القول بأن أحد أهم السمات الأساسية للسخرية تكمن في كونها سلاحاً لمواجهة الأزمات « Conflict Weapon » (Stephanson, 1951)، لما لها من قدرة على إخفاء الضغينة ولكنها في الوقت ذاته وسيلة للهجوم ولكن باختلاف كونها تؤدي إلى إحداث نتائج أقل وطأة مقارنة بالوسائل الأخرى الأكثر جرأة في التعبير والتي قد يترتب عليها في أغلب الأحيان ردود أفعال أكثر عنفاً. والسخرية فضلاً عن كونها وسيلة هجوم فهي أيضاً وسيلة لرفع معنويات من يلجأ إليها بهدف اضعاف وتقويض معنويات المُستهدَف منها.[3]

وقد تم ادراج السخرية ضمن أدوات الفعل السياسي المقاوم منذ عقود طويلة، فلطالما قدمت السخرية والسياسة مثالاً لثنائي ناجح. فقد كانت النكتة إحدى العناصر الأساسية في اسقاط النظام السوفيتي (Brossat, 1994)، كما قدمت «حركة أوتبور الصربية» نموذجاً لكون السخرية أداة فعَالة لمواجهة القمع حيث اعتمدت على الكاريكاتير والجرافيتي لإسقاط سلوبودان ميلوشيفيتش الذي حكم صربيا ويوغسلافيا في الفترة من 1989 إلي 2000 (Sorensen, 2008)، وأبدع المتظاهرون الأتراك كذلك في استخدام السخرية التي أصبحت مرادفاً لمقاومة انتهاكات حكومة رجب طيب أردوغان (Varol, 2014)، وبالرغم من العنف والقمع المُستخدم من قبل النظام السوري إلا أن المعارضين والنشطاء قد آثروا اللجوء إلي الأدوات السلمية وخاصة السخرية والفن لتعزيز التضامن ورفع الروح المعنوية لمواجهة حدة هذا القمع (Camps-Febrer, 2012).

ومن ثم تكتسب هذه الورقة أهميتها من اعتبارين، أحدهما يتمثل في ضرورة فهم الأدوار التي تقوم بها السخرية في مواجهة المشكلات السياسية، لاسيما في ظل سياق أصبح فيه القمع هو القاعدة وليس الاستثناء، وثانيهما هو أن موضوع السخرية السياسية لطالما كان محل اهتمام صحفي أكثر من كونه موضوع بحث علمي رصين مرتبط بأدبيات الفعل الجماعي والحشد ضد انتهاكات السلطة السياسية.

[3] Richard M. STEPHANSON, « Conflict and Control Functions of Humor », American Journal of Sociology, Vol. 56, 1951, pp 569 – 574.

وتسعى هذه الورقة إلى الإجابة على تساؤل رئيسي وهو: **هل عكست السخرية السياسية في أعقاب ثورة 25 يناير انتاجاً لأفكار جديدة أم ترويجاً لنماذج تقليدية معروفة تم استخدامها من قبل؟** إلى جانب هذا السؤال الرئيسي تظهر مجموعة أخرى من الأسئلة الفرعية : ما هي علاقة السخرية بطبيعة النظام؟ هل يمكن اعتبار السخرية أداة للتغيير؟ إلى أي مدى كان لأدوات التواصل الاجتماعي دوراً في ادراج هذه الأداة ضمن ربرتوار الفعل المقاوم؟

وللإجابة على هذه الأسئلة تعرض الورقة للسخرية بأشكالها المتعددة التي انتشرت خلال وبعد ثورة 25 يناير، وذلك من خلال الاعتماد على عدة وسائل لجمع المعلومات ما بين الكتب والرسائل والدوريات والصحف الالكترونية فضلاً عن الاعتماد المكثّف على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة فيسبوك ويوتيوب، كذلك اعتمدت الورقة على اجراء عدد من المقابلات مع كُتّاب ساخرين ورسّامي كاريكاتير وعدد من مؤسسي الصفحات الساخرة أو الصفحات المُوَثِقة للسخرية ضمن أدوات التواصل الاجتماعي.

كذلك تجدر الاشارة إلى أن هذه الدراسة اعتمدت منهج دراسة الحالة، وهو يعد من أقدم المناهج الوصفية التي استخدمت في العلوم الاجتماعية، حيث يمثل طريقة أو مدخل للبحث يتم من خلاله التركيز على حالة معينة. كما أنه يعد من المناهج العلمية الأكثر انتشاراً وأكثرها استخدماً لمحاولة فهم أسباب تصرف فرد ما على نحو معين والتعرف على اختلافات تصرفاته في المستقبل. أما الفرض الأساسي الذي يستند إليه منهج دراسة الحالة هو أن كثيراً من اتجاهات الفرد الاجتماعية وأنماط سلوكه قد تطورت في محاولته التعامل مع الأحداث والخبرات الهامة في حياته والتي كانت بمثابة نقطة تحول متتالية في تاريخه. ومن أهم الإيجابيات التي تميز بها هذا المنهج هو أنه يتعمق في جوانب الظاهرة ويدرسها بتأن لأنها حالة واحدة دون محاولة التسرع في الانتقال من الحالة إلى التعميم[4].

ولكن قبل التطرق إلي أجزاء الورقة يجب تعريف مفهوم السخرية وكذلك التعرض لأهم نظريات دراستها.

يُقصد لغوياً بالسخرية « *الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء*[5] ».

---

[4] عبد الغفار رشاد، **مناهج البحث في العلوم السياسية**، مكتبة الأدب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٤١ – ٢٦٩.

[5] إحياء علوم الدين للغزالي، ص192: /2224http://www.dorar.net/enc/akhlaq

وقد عرف مک جراهيل السخرية « *بأنها نتاج أدبي ينتقد القصورات، والتعاليم الاجتماعية في المجتمعات البشرية باستخدام النكتة، والعكس، والغضب، والنقائض*[6] ».

كما عرفّها ألفرد أدلر بأنها « *خليط من انفعالين هما الغضب والاشمئزاز: فنحن إذ تثور فينا غريزة النفور نشمئز، فإذا أثر الشيء الذي أثار اشمئزازنا على صفاء عيشنا، من أية ناحية من النواحي، بعثت فينا غريزة المقاتلة والانفعال المقترن بها، وهو الغضب، فدفع بنا إلى السخرية مما بعث اشمئزازنا أو ممن أثاره في نفوسنا. ولا يخلو هذا من عنصر الزهو، لأننا ننزع إلى الرضا عن أنفسنا والاسترواح إلى شعورنا، عقب مطاوعة السخرية والانسياق معها*[7] ».

إلى جانب هذه التعريفات العلمية هناك تعريفات مُرَوِجو السخرية أنفسهم، فمنهم من عرّفها «*بأنها سلاح الغلابة ضد الظلم، وهي كذلك أداة ترفيه*[8]»، كما يرى البعض أن «*السخرية ببساطة هي علاقة غير تقليدية بين عناصر تقليدية، بمعنى خلق علاقات مفاجئة بين عناصر غير متوقعة – Familiar – مما يبرز وجه أخر ورؤية أخرى للأشياء قد تفجر السخرية. والسخرية ليس شرطاً أن تكون مُضحكة، فهي في النهاية تعطي صورة أخرى للواقع، هي طريقة أخرى لقراءة الواقع؛ كما لا يُشترط أن تكون نقدية، فالسخرية والنقد ليسا مرتبطين. فالسخرية الحقيقية يمكن ألا تملك هدف أو رسالة تدافع عنها، وذلك بعكس النقد*[9] ». كذلك يرى البعض أنه « *يمكن تعريف السخرية كونها تختلف عن التهكم أي انتقاد ما لا يمكن تغييره، كانتقاد لون أو شكل شخص ما، أما السخرية فهي التعبير عن الاستياء من شئ يمكن تغييره*[10] ». كذلك

---

[6] أبو القاسم رادفر، السخرية؛ لغتها، أشكالها، ودوافعها، يناير 2011، 26852http://www.diwanalarab.com/spip.php?article

[7] المرجع السابق.

[8] مقابلة مع مخلوف، رسّام كاريكاتير بالمصري اليوم.

[9] مقابلة مع الكاتب الساخر سامح سمير. وجدير بالذكر أن سامح سمير ليس كاتباً بالمعني المهني للكلمة. فقد تخرج سامح سمير من كلية الهندسة ويعمل حالياً بمجال الترجمة. وقد بدأ الكتابة على الفيسبوك منذ عام 2007، وأوضح أن ذلك كان *" نوع من التواصل مع الأصدقاء ولم تكن الكتابة الساخرة متعمّدة، ولكن مع ظهور الحراك السياسي، وتحديداً مع بيان البرادعي عام ٢٠٠٩، بدأ التركيز على الشأن السياسي أكثر، وهنا تحول "الهزار" إلى خطاب ساخر. وبصفة عامة مع بداية الثورة، بدأت السخرية تأخذ الشكل المتعارف عليه حالياً المتمثل في الكتابة الساخرة والنقد الساخر؛ فالسخرية كانت جزء من سياق الثورة. كانت موجودة بالطبع قبل الثورة لكن انفجار الكتابة الساخرة – أو بمعنى أدق الخطاب الساخر وليس الكتابات الساخرة– جاء مع الثورة.*

[10] مقابلة مع شادي صدقي، أحد مؤسسي صفحة مجتمع أساحبي الساخر « Asa7be Sarcasm Society ».

يمكن تعريف السخرية بأنها « *إزالة الهيبة والحالة القدسية حول الشيء فكل شيء فوق السخرية، ولكن للسخرية حدود فهناك فرق بين السخرية وبين السب والقذف، فالسخرية تكون من مركز شخص ما في السلطة وليس من شخصه، ومن ثم عند خروج هذا الشخص من السلطة لا يكون هناك حق في السخرية منه*[11] ». والسخرية كما يعرفها البعض الأخر « *هي عدم وجود شيء مقدس، كل شيء ممكن نتريق عليه، كل حاجة ممكن نعمل منها حاجة تضحك دون محرمات، السخرية ليس لها سقف أو خطوط حمر. السخرية هي طريقة للتعامل مع أوضاع سئيلة وسخيفة وصعبة، وهي أيضاً نبض ووسيلة تقول الناس فكرها رايح فين*[12] ».السخرية هي بالتالي « *عمل شاق جداً لكسر الملل والتنفيس، فالنقد السياسي من خلال السخرية أكثر جدوى وأكثر قدرة على ايصال المعلومة من الجدية التي نراها ونسمعها في اللقاءات على شاشات التليفزيون*[13] ».

أما عن نظريات دراسة السخرية التي اهتمت بتفسير أسباب اللجوء إليها كأداة للمقاومة وكذلك التعريف بوظائفها الاجتماعية، يمكن القول أنها تندرج جميعها ضمن ثلاث نظريات أساسية وهي: (نظرية التفوق Superiority Theory)، و(نظرية الترويح Relief Theory)، و(نظرية التضارب Incongruity Theory).

تُعد النظرية الأولى من أقدم نظريات تفسير السخرية ومن أهم روادها أفلاطون وأرسطو وديكارت وهوبز، وتقوم على فكرة أن السخرية من نقص وضعف الأخرين الناتج عن أي عيوب جسدية أو فكرية أو أخلاقية بهم تولد لدى الشخص الساخر شعور بالاستعلاء والتفوق وهو ما يمنح شعور– ولو وقتي – بالنصر، فالسخرية هنا – وفقاً لهوبز – هي «مظهر من مظاهر العزة والغرور واحتقار الأخرين[14]»، لذلك اعتبر أرسطو النكتة إهانة وبالتالي «*إذا نكت إنسان على إنسان فقد شتمه*[15] ».

---

[11] مقابلة مع رسّام الكاريكاتير سامح سمير.

[12] مقابلة مع نايرة عجّه، مؤسسة صفحة نكت الثورة « Jokes of the Revolution ».

[13] مقابلة مع حسام حامد مُخترع شخصية أساحبي.

[14] Anonyme, « LES THÉORIES DU RIRE... POURQUOI C'EST DRÔLE? », 2013. http://matv.ca/montreal/matv-blogue/mes-articles/2013-03-20-les-theories-du-rire-pourquoi-c-est-drole

[15] عادل حموده، **النكته السياسية، كيف يسخر المصريون من حكامهم**، دار سفنكس للطباعة والنشر، 1990، ص60.

أما نظرية الترويح والتي يُعتبر سيجموند فرويد من أهم روادها فترى أن السخرية تُحدِث نوع من التنفيس وطرد للطاقة السلبية، ووفقاً لهذه النظرية تُساعد السخرية في تجاوز التوتر الذي يتعرض له الفرد بصورة يومية، ومن ثم تكون السخرية أداة فعَالة للحفاظ على كل من الصحة الجسدية والنفسية، فضلاً عن دورها في الترويح عن الرغبات المكبوتة نظراً لقدرتها على التحرير من القيود التي يفرضها المجتمع، وهو ما يتجلى في النكت ذات الطابع العنيف أو المُبتَذَل والنكت الجنسية.

وأخيراً تعلل نظرية التضارب التي طورها الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط حدوث السخرية نتيجة التناقض، أي أن السخرية تتولد من المفارقة ومن المواقف التي تشتمل على متناقضات تُنتِج ردود أفعال غير متوقعة، فعنصر المفاجأة يولد السخرية. ويقصد بالتضارب كذلك ما يقال من كلام غير مألوف يتعارض مع اللياقة والحس السليم. ووفقاً لهذه النظرية تكون السخرية – كما وصفها هنري برجسن – أداة لتهذيب السلوك، فعندما نسخر من سلوك وعدم لياقة كلام شخص ما، يكون الضحك الناتج عن السخرية هنا بمثابة عقوبة، ومن ثم يحاول هذا الشخص التغيير من هذا السلوك.

ثانياً: السخرية السياسية في الحالة المصرية

في مصر وغيرها من الدول ذات النظم القمعية يتخذ انتقاد السلطة أشكالاً تتميز بالإبداع والابتكار في التلاعب باللغة التي هي جزء من السخرية مما يخلق روابط قوية للتضامن (Zimmer, 2011). فلطالما لجأ المصريون للسخرية لمواجهة أشد الأزمات التى تعرضوا لها من قمع وظلم، وقد أخذت هذه السخرية عدة أشكال سواء من خلال النكتة أو السينما أو المسرح أو الكاريكاتير أو الغناء، وغير ذلك من الأدوات المقروءة والمسموعة، والتي تمثل جميعها « سجلاً للأفعال المقاومة ».

ولكن مع انطلاق ثورات الربيع العربي بدأت هذه السخرية تتصدر قائمة أداوات النقد والتعبير، فبدأ التحول للسخرية كسلاح لمواجهة الاستبداد ولسان الحال للتعبير عن الاحتجاج، وذلك لما للسخرية من دور في كسر حاجز الخوف، فهي ليست فقط وسيلة فعَالة للتواصل (Macdonald, 1999)، ولكنها أيضاً تساعد المواطنين في التنفيس عن معاناتهم الناتجة بصفة أساسية عن عدم القدرة على التعبير

بصورة صريحة ومباشرة، فالسخرية تحمل نقداً ضمني غير مباشر وبالتالي تمثل « *نوع من التعبير عن الرأي، والتعبير عن الرأي جزء منه تنفيس. أي أن من ضمن وظائف السخرية أنها تحدث نوع من التنفيس، ولكن بالطبع لا يمكن اختصارها أو اختزالها في كونها نوع من التنفيس لأنها في بعض الأحيان يكون لها تأثير وتُحدِث تغيير*[16] »، أي « *أن السخرية فقط من أجل التنفيس ليست مطلوبة حيث تؤدي إلى بقاء الوضع على ما هو عليه*[17] ».

ويُعد تاريخ مصر السياسي خير موّثِق لمشوار السخرية بها، وقد كانت النكتة من أوائل أدوات تلك السخرية حيث يُقال أن أقدم نكتة سياسية في التاريخ كانت نكتة مصرية[18]، ثم بدأت السخرية تنتشر من خلال الأدوات المرئية والمسموعة والمقروءة، فظهر الأراجوز في فترة الاحتلال العثماني ولعب دوراً في السخرية من السلاطين وانتقادهم، وكان آنذاك الوسيلة الرائجة لمناقشة الأوضاع لاسيما الاجتماعية والاقتصادية، بل أن مسمى أراجوز نفسة ظهر نتيجة السخرية التي طالت جمال الدين قراقوش على يد الأسعد ابن مماتي في كتابه «الفاشوش في حكم قراقوش»، فهو تحوير لكلمة «قراقوز» المشتق من قراقوش. ثم ظهرت الصحافة الساخرة على يد يعقوب صنوع[19]، كما انتشرت السخرية السياسية أيضاً من خلال الفن وخاصةً الغناء[20]. وإلى جانب الدور الذي لعبته الصحافة والغناء والقصائد الساخرة في نقد الحكّام وسياساتهم، قدم كل من السينما والمسرح[21] أنماطاً ساخرة من سلبيات المجتمع عبر عدة عقود.

---

[16] مقابلة مع الكاتب الساخر سامح سمير.

[17] مقابلة مع رسّام الكاريكاتير سامح سمير.

[18] Saad EL-KERCH, « Un torrent d'éclats de rire », *Al-Ahram Hebdo*, 2014. http://hebdo.ahram.org.eg/NewsContent/1025/5/32/5916/Un-torrent-d%E2%80%99%C3%A9clats-de-rire.aspx

[19] صدرت أول صحيفة ساخرة على يد يعقوب صنوع وأسماها « أبو نظارة زرقاء »، والتي وُصفت بكونها « فتحاً شعبياً خطيراً» .كما شهد عام١٨٨١ صدور صحيفة « التنكيت والتبكيت» لعبدالله النديم الذي يُعتبر من رواد السخرية السياسية في مصر ويرجع إليه الفضل مع يعقوب صنوع فى ظهور الصحافة الساخرة.

وبعد ذلك صدرت العديد من الصحف والمجلات الساخرة ومنها مجلة (حمارة منتى) لمحمد توفيق عام 1900، ومجلة (خيال الظل) لأحمد حافظ عوض عام 1907، ومجلة (الكشكول) لسليمان فوزى عام 1921، ومجلة (1000 صنف) لبديع خيرى عام 1928، وعام 1930 صدرت مجلة (المطرقة)، ومجلة (الراديو) لمحمود عزت المفتى عام 1934 والتى أصبحت فيما بعد (البعكوكة)، ومجلة (الإمام) لبيرم التونسي عام 1937، وغيرها.

[20] وهي التجربة التي قدمها لنا سيد درويش بالتعاون مع كل من بديع خيري وبيرم التونسي. وتُعد "مسرحية العِشرة الطيبة"، التي عُرضت لأول مرة بالقاهرة عام ١٩٢٠، من أشهر الأوبريتات التى لحنها سيد درويش والتي كانت مؤيدة لثورة 1919 ضد الإنجليز. وبصفة عامة يمكن القول بأن ثورة ١٩١٩ عكست تألقاً لفن السخرية. كذلك تمثل تجربة تعاون كل من أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام عيسى خير مثال حيث قدما الكثير من الأشعار والأغانى الساخرة والتي وصلت في بعض الأحيان إلى السباب.

[21] ظهر المسرح السياسي في مصر عام ١٨٧٩ متمثلاً في مسرح يعقوب صنوع الذي أغلق بعد عامين لانتقاده الخليفة اسماعيل. وبصفة عامة شهد المسرح السياسي ازدهاراً في الأعوام التي سبقت ثورة ١٩١٩ من خلال أعمال سليم النقاش وعبدالله النديم ومصطفى كامل ومحمد فريد، والتي

ويمثل عام ٢٠١١ نقطة تحول ليس فقط في تاريخ مصر السياسي ولكن أيضاً في تاريخ السخرية، فمع قيام ثورة 25 يناير شرع المصريون في ترديد الشعارات واللافتات الساخرة واطلاق النكت، فضلاً عما أحدثه الانترنت وخاصة أدوات التواصل الاجتماعي في ظهور أشكال جديدة من السخرية.

وتهدف هذه الورقة إلى رصد وتحليل أهم أشكال السخرية التي انتشرت في المساحات العامة بمفهومها الجمّعي (Mongin, 2012) – أي في الشوارع والميادين وغيرها من الأمكنة التي تمثل مساحات تشاركية – وكذلك في المجال الافتراضي، وذلك خلال ثورة 25 يناير وما أعقبها من فترة تشكيل الواقع المصري الذي لا يزال يشهد تطوراً منذ ذلك الحين. فقد شهدت الموجة الأولى للثورة استخداماً كثيفاً للسخرية بدءاً من النكت، والشعارات، والرسم على الجدران « فن الجرافيتي »، ثم ظهور البرنامج الساخر «البرنامج»، فضلاً عن المدونات والصحف الإلكترونية، والصفحات المتخصصة بمواقع التواصل الاجتماعي.

- **<u>النكتة السياسية</u>:** « ***المصري لو النكتة حبكت معاه ماحدش بيوقفه***[22] »

النكتة كما وصفها جورج أورويل هي « *ثورة صغيرة*[23] »، فعندما تصادر السلطة السياسية حرية التعبير وتمنع شتى أنواع النقد تأتي النكتة لتكون وسيلة التمرد على هذه السلطة، فالنكتة السياسية كما وصفها لارسن « *هي صمام الأمان التي يلجأ إليها الشعب المقموع للحفاظ على سلامته العقلية*[24] ».

والنكتة لطالما لعبت دوراً في الحياة السياسية المصرية وهو الدور الذي اكتسب أهمية خاصة عقب ثورة يوليو 1952 (شحاتة، 1992). فمنذ ذلك الوقت أصبحت النكتة سلاح المعارضة، أفراداً وأحزاباً (E. Hammoud, 2014)، وقد كانت هذه النكت – حتى أواخر الستينيات – تستهدف سياسات الحكام وأعوانهم أكثر من مهاجمتها شخص الرئيس نفسه.

عكست الوضع السياسي الذي تسوده روح الوطنية، أما في الفترة من ١٩١٩ إلى الفترة التي شهدت الأزمة الإقتصادية عام ١٩٣٠ ثم الحرب العالمية الثانية ثم ثورة يوليو ١٩٥٢، فقد شهدت تراجعاً للمسرح السياسي ليعود بقوة في الستينيات.

[22] مقابلة مع نايرة عجّه.

[23] « *Every Joke is a tiny revolution* »: George ORWELL, Funny, but not Vulgar, The Collected Essays, Journalism and Letters of George Orwell, 1968.

[24] « *The political joke is a safety valve, a way in which an oprressed people preserves its sanity* »: Egon LARSEN, *Wit as a Weapon: The Political Joke in History*, London, 1980, p. 3.

ففي فترة حكم جمال عبد الناصر كانت النكتة من أكثر الوسائل التي انتقد بها المصريون النظام السياسي والفكر الاشتراكي وغياب حرية التعبير واستخدام التعذيب من قبل الشرطة. وقد بلغ الأمر ذروته عقب هزيمة 1967 حيث انطلاق الموجة « *الحادة* » من النكت السياسية التي استهدفت الضباط وعناصر الجيش. أما النكت التي استهدفت السادات فقد كانت أكثر جرأة، حيث انتقدت تدخل زوجته جيهان السادات في الحياة السياسية كما انتقدت علاقة السادات المتوترة بالكنيسة القبطية (شحاتة، 1992).

أما عن عهد مبارك، فقد تزايدت النكت بصورة واضحة، وقد بدأت هذه النكت بالسخرية من عدم وضوح أي مشروع سياسي له مقارنة بسابقيه: « *واحد أكلنا المش والتانى علمنا الغش والتالت لابيهش ولا بينش* » (طاهر، 2015). ثم بدأت هذه النكات تأخذ منحنى أخر مع ازدياد الفساد وتدخل جمال مبارك في الحياة السياسية وتزوير الانتخابات، حتى وصلت إلى تشبيهه بالبقرة الضاحكة « La Vache qui rit» لعقود طويلة.

ولكن شهدت آخر ثلاث سنوات من حكم مبارك جمود تام فيما يتعلق بالنكت: « *المصريون بيطاطوا للحاجة لما بتحصل لكن مابيسكتوش بمعنى أنهم مش بيدخلوا في مواجهات درامية لكن النكت بتبقى شغالة، أي أن كل ما وتيرة النكت زادت كل ما بنعرف إن الشعب مش ساكت (...) فالسخرية عند المصرين أسلوب حياة وبالتالي عند اختفائها يكون ذلك دليل على وجود شئ في منتهى الخطورة، وبالتالي بدأ القلق في آخر ٣ سنين في عهد مبارك، ولا نكتة: لا نكتة سياسية ولا نكتة تافهة ولا حتى نكتة خارجة، الناس كانت فاقدة القدرة إنها تطلع أي شئ لا حلو ولا حتى سيء، النفق كان مظلم ومافيش في آخره نور* »[25].

ولكن قبل اندلاع الثورة بأسبوعين وخاصة عقب أحداث بوعزيزي في تونس عادت النكت السياسية بوتيرة عالية جداً وقد كانت من أوائل النكت: « *هيحطوا دعم على كبريت ويدوك جركن بنزين هدية* » *(..)* و« *ما هي مساحة الحرية في مصر؟ الإجابة: هي المسافة ما بين القفا وكف الظابط* »، وغيرها من النكت التي تم توثيقها لاحقاً من خلال تأسيس جروب « نكت الثورة – Jokes of the Revolution »، الذي « *يسعى لرصد النكات الخاصة بثورة ٢٥ يناير في كل مراحلها* [26] ».

---

[25] مقابلة مع نايرة عجَة.

[26] https://www.facebook.com/groups/201780249846577/

ومن أمثلة هذه النكت التي تم أيضاً تجميعها لاحقاً في كتاب بعنوان "نكت ثورة 25 يناير"، نذكر ما يلي[27]:

- « *الرئيس يعلن في بيان: وفاء مني لمصر ورغبة في تلبية طلبات الشعب لن أرحل حتى أحقق مطلب الشعب في القبض على السفاح ومحاكمته*».
- « *المصري الوحيد الملتزم بحذر التجول هو الرئيس حسني مبارك* ».
- « *يعني إيه كوك زيرو؟ يعني تبقى واقف في اللجنة الشعبية بتحشش ويجي البوكس تقوم تفتشه*».
- « *بيقولك واحد لقى الفانوس السحري ودعكه.. طلع له العفريت وقاله: شبيك لبيك تطلب إيه؟ قاله الراجل: أنا عايز كوبري بين القاهرة وأسوان. العفريت قاله: دي صعبة قوي.. نقي حاجة تانية. الراجل قاله: خلاص خلي حسني مبارك يسيب الحكم. العفريت قاله: إنت عايز الكوبري رايح جاي؟ ولا رايح بس؟*»
- « *عقد الرئيس جلسة مع وزير الداخلية السابق حبيب العدلي وقال له محتداً: منعت الحشيش يا فالح؟ آهو الشعب صحصح* ».
- « *عمر سليمان: حسني مبارك ده أبونا كلنا.. محشش: ده إحنا طلعنا كلنا ولاد حرام يا رجالة*».
- « *في إطار محاكمه أحمد عز سألوه من أين لك هذا قال هذا من فضل ربي، رد عليه الشيطان و قاله آه يا واطي يا ناكر الجميل*».
- « الرئيس التونسى السابق يتصل بروتانا ويهدى أغنية "بستناك" لحسنى مبارك، وفي مداخلة عاجلة للرئيس المصري لنفس القناة، صرح بأننا لسنا مثل تونس وأهدى الشعب المصري أغنية "أخاصمك آه أسيبك لا" ».

واستمرت وتيرة النكت في الارتفاع خاصة في فترة حكم الإخوان المسلمين وحتى ٣٠ يونيو، لكن « *بعد 30 يونيو النكت كانت ضنك* »[28]، وأصبحت تفتقر إلى أحد أبسط وظائفها وهي الاضحاك. وانتقلنا مع الرئيس عدلي منصور إلي دافع جديد لإطلاق النكت، فبعد أن كانت النكتة تُطلق تعليقاً على تصرف ما أو اعتراضاً على القيام بعمل أو سياسة ما أصبحت تُطلق لانتقاد القيام باللاشيء، فكانت النكت خلال فترة حكم منصور تسخر من هدوءه وقلة كلامه وظهوره الإعلامي وهي النكت التي أطلقت عليه مصطلح

[27] http://archive.arabic.cnn.com/2011/egypt.2011/2/9/egy.joke_revolution/

[28] مقابلة مع نايرة عجَة.

" الطرطور". وبصفة عامة يمكن القول أنه منذ 30 يونيو تضاءلت مساحات السخرية السياسية نتيجة لحالة "الارتباك القيمي" الذي أصاب قطاعات كبيرة من المجتمع المصري (اسكندر، 2015)، وهو الوضع الذي استمر حتى « *مطلع عام 2015 حيث عادت النكت تُضحِك وعاد عدم الحظر وعاد التأليس على كل شيء* »[29].

ومن خلال متابعة ورصد النكات التي أطلقت بدءاً من ثورة 25 يناير يمكن أن نلحظ التغيُر الذي طرأ على شكل النكتة. فبصفة عامة يمكن القول أن مع قيام ثورة 25 يناير 2011 استطاع المصريون الوصول بالنكتة إلي مستوى آخر ونموذج أكثر تطوراً (Harutyunyan, 2012) ، فبعد أن كانت تتميز النكتة بطابعها السردي أصبحت الغالبية العظمى منها تُصاغ فيما لا يزيد عن سطر واحد، فقد أصبحت النكتة قصيرة جداً ومن ثم أسرع في الانتشار من فم إلى أذن في ثوانٍ، فضلاً عن دور أدوات التواصل الاجتماعي في هذا الاطار حيث « *ساعدت في انتشار النكت أسرع بكثير وساعدت كذلك في توثيقها (...) فقديماً كانت النكت سرد وحكاية لأن الاعتماد كان على السمع، ولكن أصبحت النكتة حالياً سطر واحد وتقضي الغرض أو ما لا يزيد عن 140 حرف على موقع التواصل الاجتماعي* تويتر *أو بوست في سطر على الفيس بوك (...) كذلك ساعدت أدوات التواصل الاجتماعي في انتشار ألفاظ كانت تُعد خارجة فيما سبق نتيجة وجود عنصر " الشخص المجهول" عبر مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، بمعنى لو حد قريبك أو صاحبك بيحكي نكتة فيها حاجة إباحية ممكن يتكسف يقولهالك لكن على أدوات التواصل الاجتماعي هو مش عارف مين اللي هيقرا. فقد كان هناك دائماً في مصر نكت إباحية جداً لكن كانت تُحكي ضمن دوائر مغلقة*[30] ».

- **<u>الشعارات واللافتات</u>**

إن اللجوء إلي الشعارات متجذِر بعمق في البنية الاجتماعية للأفراد (العبد الحق وحسين، 2011)، وذلك لأنها تمثل انعكاساً وتعبيراً عن عادات وتقاليد ومواقف واتجاهات المجتمع ومن ثم يمكن من خلال تتبعها رصد التغييرات التي طرأت على هذه العادات وتلك المواقف والاتجاهات (عبد الصادق، 2011).

[29] المرجع السابق.
[30] المرجع السابق.

وقد اهتم العديد من الباحثين بدراسة تأثير الشعارات في الحراك السياسي ليس فقط لكونها وسيلة للإقناع والتعبير عن الأهداف السياسية ولكنها أيضاً تُعَد أداة فعّالة للتوعية السياسية (Lahlali, 2014).

وقد لعبت الشعارات دوراً هاماً في ثورة 25 يناير 2011، حيث كانت بمثابة لغة الحوار بين المتظاهرين من ناحية وبين الحكومة والعالم كافة من ناحية أخرى (Al Masaeed, 2013). فعلى الرغم من قيام وزارة الداخلية بقطع وسائل الاتصال والانترنت إلا أن المتظاهرين ابدعوا في فن التواصل من خلال الأغاني وكتابة اللافتات (يوسف، 2014). وقد أوضحت دراسة أُجريت عن الشعارات التي رفعها المتظاهرون في كل من الثورتين التونسية والمصرية[31] والقائمة على تحليل عدد من الشعارات التي تم ترديدها أن هناك عدة وظائف لهذه الشعارات، فقد تكون شعارات الهدف منها الإهانة والتحقير مثل « *التغيير التغيير ارحل ارحل يا حقير*»، وقد تكون شعارات تعبر عن مطلب ما مثل « *الشعب يريد اسقاط النظام*»، وهناك الشعارات التي تعكس حالة الغضب مثل *يا* «*جمال قول لأبوك شعب مصر بيكرهوك* »، وهناك الشعارات التي تحمل تهديداً مثل « *يا مبارك ارحل غور أحسن بكرة تموت مقتول*»، وغيرها من الشعارات التي تدافع عن حقوق الانسان وتلك التي تعكس سلبيات المجتمع، وغيرها، ويعنينا من هذا التصنيف الشعارات التي استخدمت السخرية في صياغة محتواها.

ومن أهم سمات هذه الشعارات الساخرة أنها اعتمدت في كتابتها على أدوات بسيطة وغير مكلفة حيث كُتبت بخط اليد على قصاصات من الورق فضلاً عن اعتمادها على لغة بسيطة حيث اعتمدت الأغلبية العظمى منها على اللهجة العامية، بهدف أن تستوعبها كافة طبقات المجتمع لتكون حقاً أداة للتعبئة وكذلك لأنها كانت في هذه الفترة تحديداً « *قنوات اتصال بديل* » في ظل السيطرة التي تمت على وسائل الاعلام وأدوات التواصل الاجتماعي (حسن، 2013)، فتبادل الضحكات الناتج عن رفع هذه اللافتات الساخرة خلق شعور بالتضامن والوحدة بين المتظاهرين والمدافعين عن القضية (Sussman, 2011).

تُثير كذلك شعارات ثورة 25 يناير فكرة أخرى تتعلق بالمواد التي أستُوحِيَت منها، فنجد أن هناك شعارات استمدت محتواها من خلال التغيير في بعض الأغاني وخاصة الوطنية منها:

[31] Fawwaz AL-ABD AL-HAQ & Abdullah ABDELHAMEED HUSEIN, « The slogans of the Tunisian and Egyptian Revolutions: A sociolinguistic study », 2011.
http://media.leidenuniv.nl/legacy/fawwaz.pdf

« لو الغني عايش في مصر والفقير يتعصر عصر يبقى أنت أكيد في مصر»

« ذهب الليل طلع الفجر والشعب اتحرر .. اتحرر»

« دلع عينى دلع حسنى سابها وخلع »

« حالو يا حالو مبارك شعبه خلعه »

« أحلف بسماها وبترابها مبارك هو اللي خربها »

وهناك شعارات أخرى اعتمدت على الدين من خلال استخدام صيغة الدعاء: *« اللهم انزع عنا القلق والغلاء وأبو علاء »*، وأخرى استمدت محتواها من التراث الشعبي القديم: *« ده لو كان عفريت كان انصرف »*، *« قارئة الكف: " قدامك سكة سفر»*، *« يا بخت من زار وخفف يا بارد »*، *« اكرام النظام دفنه »*، وأخرى استخدمت الدعاية الإعلانية لبعض القنوات الفضائية: *« حسني.. مش هتقدر تغمض عنيك »* نسبة إلي *« روتانا سينما.. مش هتقدر تغمض عنيك »*، و *« مبارك يتحدى الملل »* نسبة إلى *« ميلودي تتحدى الملل »*، فضلاً عن الشعارات التي عكست التطور التكنولوجي الذي يعايشه المجتمع : *« باي مبارك موبيلات بقى»*، وغيرها من الشعارات التي تمثل في حد ذاتها انعكاساً للإفيهات المنتشرة على المستوى اليومي بين الشعب المصري عند تناوله تفاصيل حياة المواطن، *ومن أمثلتها ما يلي:*

« امشي بقى عايزة استحمى »

« ارحل بقى عايز ادخل الحمام»

« انجز ... عندنا ثانوية عامة »

« ارحل مراتي وحشتني... متزوج من ٢٠ يوم »

« ارحل كتفي وجعني »

« هاتمشي هاتمشي ... انجز عشان أروح أحلق»

« ارحل.. الولية عاوزة تولد والولد مش عايز يشوفك »

« يا نعيش عيشة لوكس.. يا نركب كلنا البوكس »

« رابطة نجاري مصر يسألون الأسطى مبارك: ما نوع الغراء الذي تستخدمه؟ »

« اذا الشعب يوماً أراد الحياه فلابد أن يستجيب البقر »

وإيماناً بأهمية هذه اللافتات والشعارات ظهرت عدة مبادرات لتوثيقها ومن أبرزها صفحة Slogans of the Revolutions – شعارات الثورة المصرية»، التي أسستها أمينة البنداري أستاذة التاريخ في الجامعة الأمريكية، وهي « *صفحة مخصصة لتوثيق شعارات ثورة 25 يناير من خلال تجميع الهتافات والشعارات المكتوبة على اللافتات والجدران وكذلك الأغاني المتعلقة بالثورة*[32] ».

- **<u>السخرية على الفضاء الافتراضي</u>**

بصفة عامة طرحت ثورات الربيع العربي العديد من الإشكاليات حول دور الفضاء الالكتروني كمساحة عامة للاحتجاج. وقد تعاظم هذا الدور واكتسب زخماً إضافياً عقب ثورة 25 يناير كنتيجة لاختلال توازن المؤسسة الإعلامية الذي صاحب اختلال السلطة السياسية (Najar, 2013). وهنا أصبح الانترنت مساحة بديلة للتعبير وملاذاً «للجمهور المضاد Contre-public» (Fraser, 2003)، ويُقصد بالجمهور المضاد جيل الشباب الذي يطرح بديلاً للمعارضة بمفهومها التقليدي حيث أصبح يعتمد خطاباً أقل رسمية وأكثر سخريةً (Najar, 2013).

ففضلاً عن السخرية التي ظهرت من خلال النكت والشعارات التي عكست « *الروح الإلكترونية للثورة* » (Anagondahalli & Khamis, 2014): « Mubarak is offline »، و« Mubarak: Shift + Del»، و« Delete Mubarak »، وغيرها من الأشكال التي انتشرت في الحيز المادي مثل فن الجرافيتي الذي استخدم الجدران بشكل سياسي للسخرية من السلطة (حمادة، 2015)، وهي الأشكال التي تم توثيقها لاحقاً على الفضاء الافتراضي، صاحب ذلك مظاهر أخرى للسخرية ارتبطت بوجود الانترنت بدءاً بالهاشتاج مثل «#Mubaraked» الذي قام على فكرة استبدال اسم "مبارك" بفعل وانشاء جملة مفيدة وهاشتاج «#ReasonsWhyMubarakIsLate»، اللذان انتشرا في الأيام الأولى للثورة للسخرية من تمسك مبارك بالسلطة وبطئ استجابته لمطالب الثوار، ومنها:

#Mubaraked : To fail to get the hint, regardless of how obvious it may be

#Mubaraked : to Stick something or to glue something. ex "i will punch u and Mubarak u to the wall"

[32] https://www.facebook.com/groups/189996867687598/

#Mubaraked: To get stuck to a chair when u stand up

#ReasonsMubarakIsLate: He's trying to Google Map Saudi Arabia but forgot he shut down the internet.

#ReasonsMubarakIsLate: Every time he is ready to leave, there's a damn curfew in place.

كما كان للمدونات التي انتشرت سواء باللغة العربية أو الانجليزية دوراً فعّالاً من خلال تجميع مختلف أشكال السخرية الاجتماعية التي انتشرت خلال الثورة في مكان واحد (Harutyunyan, 2012) ومنها على سبيل المثال لا الحصر: مدونة نكت مصرية، مدونة أم كارتون، ومدونة The Arabist.

بصفة عامة يمكن القول أن الفضاء الافتراضي أصبح وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها خاصة أدوات التواصل الاجتماعي التي تعدى دورها مجرد التواصل حيث أضحت مساحة أصبح فيها الكل يكتب والكل يقرأ ومن ثم أذابت الفوارق بين الكاتب والقارئ (دياب، 2014). ومع ازدياد القمع والتضييق على حرية التعبير « *أصبحت أدوات التواصل الاجتماعي هي الكيان الذي يمكنه البقاء، فهي الأكثر قدرة على توصيل أي نوع من الكلام*[33]».

وسنعرض فيما يلي لبعض نماذج السخرية التي ارتبط ظهورها بالإنترنت وأدوات التواصل الاجتماعي:

- **<u>برنامج البرنامج</u>**

تُعد تجربة برنامج "البرنامج" التي قدمها باسم يوسف من التجارب الساخرة الفريدة التي عاصرها المصريون نتيجة تطور الإعلام ووسائل الاتصال، حيث بدأ باسم يوسف مهنته كإعلامي ساخر من خلال برنامج « B+ » الذي بُثَت أولى حلقاته في مارس ٢٠١١ من خلال موقع يوتيوب، والتي قدّم فيها نقداً ساخراً استهدف السياسيين والإعلام بصورة خاصة، ومنذ ذلك الحين أصبح البرنامج يُذاع تليفزيونياً تحت اسم برنامج « البرنامج » والذي تبدأ مقدمته بتوضيح الهدف منه: « *من قديم الأزل يمارس المصريون النقد والسخرية من كل شيء سواء كان عن أحوالهم أو أنفسهم لكنهم لم يقتربوا من*

[33] مقابلة مع حسام حامد.

فراعينهم بشكل مباشر. وآن الأوان لأن نتحرر من الخطوط الحمراء والنقاط المحظورة ونمارس حرياتنا في النقد الساخر بشكل مبتكر».

ويوضح باسم يوسف الهدف من فكرة البرنامج[34]: « *ما أقدمه هو فن السخرية أي Sarcasm وهي من الكلمة اليونانية Sarcasmus أي يسلخ ويُشَرِح. ليس الموضوع عن الضحك ولكن الهدف هو التشريح والسلخ لاستخراج الحقيقة، وهنا تكمن قوة السخرية، خاصةً في بلد كمصر وما تمر به من أحدث حزينة يصعب فيها الضحك، لذلك يمكن مشاهدة حلقة كاملة من البرنامج دون أن نضحك ولكن على العكس نشعر بألم وحسرة. فالهدف من السخرية ليس الإضحاك فلو كان الهدف منها هو الاضحاك فهذا يعني البعد عن الواقع أي "إعطاء مخدر لإبعاد المواطن عن الحقيقة" وهذا ليس الهدف من السخرية (...) تزداد قوة السخرية بصورة كبيرة في ظل الأنظمة التي تسعى للقمع والسيطرة، وهذه الأنظمة لا تستطيع التعامل مع السخرية لأن السخرية تفقدهم توازنهم، لذلك وصفتني السلطة بالأراجوز والبلياتشو. ولكني اعتبر ذلك شرفاً، فالأراجوز لعب دوراً هاماً للتعبير عن القهر ضد الخليفة العثماني وللأراجوز قوة وهدف نبيل يكمن بالأساس في أنه يجعل الحاكم الشرس أو النظام القمعي يبدو مضحكاً والشيء الذي نضحك عليه لا نعد نهابه (...) كما أضاف أن للسخرية دور في مواجهة القيادات الدينية المزيفة أي التي تستخدم الدين للسيطرة على المواطنين، فهؤلاء هم أكثر الناس التي ممكن أن "يصيبهم الضحك في مقتل"* ».

وفي نوفمبر 2012 بدأ الموسم الثاني من البرنامج بحضور المشاهدين فى مكان تصوير الحلقات ليكون *أول برنامج مصري ساخر بجمهور حقيقي*[35]، ولعل ذلك كان أحد أسباب تميز تجربة البرنامج، فكما أشار برجسون في كتابه « الضحك [36] »، « *لا أحد يتذوق النكتة إذا كان وحيداً.. فالضحك يحتاج إلى صدى.. إنه شيء يبدأ بانفجار ضعيف ثم يزيد ويزيد حتى يصبح مثل الرعد ..إن ضحكتنا هي دوماً ضحكة المجموعة لذلك فالضحك أقوى وأشد في المسارح الأكبر ..فالعدوى هناك أسرع وأسهل* [37]»[38].

---

[34] وذلك في إطار مؤتمر لباسم يوسف في باريس في إبريل 2013 بمناسبة الأسبوع العربي المنعقد سنوياً والذي كان موضوعه ذلك العام هو "الضحك".

[35] https://www.youtube.com/watch?v=J7cF-_pN0zc&list=PL2E6A6018C042D8AE

[36] Henri BERGSON, *Le rire. Essai sur la signification du comique*, Paris, 1924, Éditions Alcan.

[37] عادل حموده، **النكته السياسية، كيف يسخر المصريون من حكامهم**، مرجع سابق، ص 73-74.

[38] النص باللغة الأصلية:

On ne goûterait pas le comique si l'on se sentait isolé. Il semble que le rire ait besoin d'un écho. Écoutez-le bien : ce n'est pas un son articulé, net, terminé ; c'est quelque chose qui voudrait se prolonger en se répercutant de proche en proche, quelque chose qui commence par un éclat pour se continuer par des roulements, ainsi que le tonnerre dans la montagne. Et pourtant cette répercussion ne doit pas aller à l'infini (...). Notre rire est toujours

بدأ البرنامج كما سبق وذكرنا بالسخرية من الاعلاميين وتغطيتهم للثورة، وقد اعتمد باسم يوسف في ذلك على أسلوب جديد وهو اللجوء إلى استخدام مقاطع الفيديو محللاً لها ومُعقباً عليها بالتعليقات الساخرة، حيث ينقسم فريق عمل البرنامج إلي فريقين، يقوم الأول بمتابعة كافة البرامج وتدوين أجزاء منها ليقوم الفريق الثاني المعروف بالفريق الإبداعي باستخدام مقطوعات من هذه البرامج لتخرج في السياق الساخر الذي نراه وذلك من خلال « *اللجوء إلي تكنيكين في غاية البساطة ولكن كان يتم تنفيذهم بمهارة وهما : الاعتماد على الزلّات اللفظية، والاعتماد على المفارقة أي رصد التغيير في المواقف والتناقض عند الإعلاميين والسياسيين*[39] ».

وقد تناول الموسم الأول الممتد من أغسطس إلي نوفمبر 2011 العديد من القضايا والأحداث والسلبيات التي حدثت أثناء وعقب ثورة 25 يناير كالتحرش الجنسي، التغطية الإعلامية للعديد من الأحداث كتغطية جلسات محاكمة الرئيس السابق محمد حسني مبارك وأخبار "نزلاء" سجن طره والتي كان يتم المبالغة في رصد تفاصيلها كقول " *في ملعب تنس بس مش عارفين بيلعبوا ولا لأ*"، فيعلق باسم يوسف قائلاً: « *وفي جاكوزي بس مش عارفين بينزلوه ولا لأ، وكمان ما نينساش إن 80% من سجن طره مساحات خضراء مع امكانية تأجير وحدات TownHouse بنظام الرهن العقاري بفترة سداد ممتدة، مطلقاً بذلك حملته الإعلانية "بورتو طره من أجلك انت"*. كذلك على سبيل المثال تناول خبر القبض على الجاسوس الاسرائيلي الذي شارك في الثورة والتغطية الاعلامية لهذا الخبر طارحاً تساؤل*: ما الذي يجلب الجواسيس إلى مصر؟ وهو التساؤل الذي أجاب عليه من خلال اطلاق الحملة الإعلانية "سباي تورز": عايز تتشمس؟ عايز تجسس؟ بيقى مكانك في مصر! تاريخ، حضارة، ثورة فريش، معلومات بالهبل، بشرى لكل الجواسيس! اتصل بسباي تورز خصم خاص لكل عملاء الموساد، برجاء ابراز كارنيه العضوية* »... إلخ.

ومع بداية الموسم الثاني، بدأ البرنامج يعكس التغيير الثقافي الذي عقب التغيير السياسي الذي شهدته دول الشرق الأوسط بصفة عامة (Pearlstein, 2014) ، فقد استطاع يوسف من خلال برنامجه

---

le rire d'un groupe (...). Combien de fois n'a-t-on pas dit que le rire du spectateur, au théâtre, est d'autant plus large que la salle est plus pleine .

[39] مقابلة مع الكاتب الساخر سامح سمير.

كسر التابوهات كالسخرية من رجال الدين أو إلقاء التعليقات ذات إيحاءات جنسية عاكساً بذلك إحدى أهم خصائص السخرية وهي اعتمادها على الصدمة (غيس وطالب، 2013) كتعليقه على قول أحد الإعلاميين ب« *أن حكومة ابراهيم محلب لم يحدث فيها تعديل بل "ترقيع يؤدي بنا لفسحاية بقي*"» قائلاً: « *إزاي الترقيع يؤدي بنا إلى الفسحاية، انا أعرف إن الفسحاية تؤدي بنا إلي الترقيع (...) وكمان حكومة عجوزة ذي دي تترقع ليه؟! إللي ذي دي تتاخد لخبرتها كدة* ». كذلك على سبيل المثال، في محاولة لوصف حال مصر في عهد حكم الرئيس السابق محمد مرسي، لم يتردد البرنامج في تمثيلها بشخصية "جماهير" *وهي المرأة التي تزوجت شخصاً لمدة 30 عاماً ، ولكن تركته وتزوجت من شخص آخر عقب إقامة "عُرس ديموقراطي" ووعود بالحب واتفقا على انجاب طفلة أسماها "النهضة" ولكن لم يحدث ذلك نتيجة لحصول "عجز" في الموازنة وقيامه بإعلان دستوري "عشان يشكمني". ثم انفصلا بعد أن وصفته جماهير بالرجل الأهبل المُسَيطَر عليه وتزوجت لاحقاً من ابن خالتها الضابط "اللي قلبه"، والتي وصفته بالصدر الحنين يا سيييييدي وتاج راسي وقالي هتبقي أد الدنيا (...) احنا عائلة بتاخد ضباط.*

– *ومعيشك في قصر؟ لأ معيشني في حظر*».

وبعد مرور ثلاثة أعوام على عرض برنامج البرنامج الذي غلب على موسمه الأول نغمة التهكم الصريح وعلى موسمه الثاني فكرة كسر التابوهات لإنتاج حس فكاهي جديد، ظهرت أكثر من محاولة لإيقافه وخاصة بعد ٣٠ يونيو : « *الوضع لم يكن في صالحه والناس لم تعد تقبل السخرية، وذلك نتيجة الرعب من المعلومات التي كانت تقوم الدولة بتسويقها (...) كما أن الفئة العمرية الكبيرة كانت تريد الاستقرار بأي شكل حيث يرغبون في البقاء في مكان وظروف كانوا قد آلفوها حتى وإن كانت قمعية، فهم غير مستعدين لتضحيات سكة التغيير وبالتالي بيدافعوا عن أي حاجة وأي حد يُبقيهم في وضع استقرار*[40]».

وقد أدى كل ذلك إلى توقف البرنامج فعلياً بصورة نهائية في الثاني من مايو 2014. وفي هذا الإطار يمكن القول « *أن السخرية السياسية في مصر لا تأخذ شكل محايد، بل هي بشكل أساسي أيديولوجية، فكل شخص ينتمي إلى معسكر ويحاول أن يسخر من المعسكر الأخر وهو ما ينطبق على البرنامج، وبالتالي لم يكن هدف السخرية التي يقدمها طرح رؤية ساخرة للواقع ككل بقدر ما كان استهداف*

[40] المرجع السابق.

معسكر معين، ولعل ذلك هو سبب تراجع شعبيته بالرغم من علو مستواه فنياً. ومن ثم يمكن القول أن فكرة دفاعه عن معسكر معين ضد الأخر قد كانت سبب صعوده ولكن كانت لاحقاً سبب فقدانه شعبيته [41] »، ولكن بالرغم من ذلك يمكن القول أن أهم جوانب نجاح البرنامج تمثلت في كونه « *جسر وصل بين خطاب الفيسبوك ووسائل الإعلام حيث كان هناك فجوة بين ما يقال على الفيسبوك وما يقال في وسائل الإعلام وكان باسم يوسف أكثر إعلامي ساخر له تأثير في المصير السياسي حيث كان برنامجه أداة فعالة في إسقاط هيبة الإخوان حيث مكّن من رؤيتهم بشكل مُغاير عن الشكل الذي طرحوه عن أنفسهم* [42] ».

- **التـرولات** : **Troll Faces & Memes**

لطالما كان فن الكاريكاتير أكثر الفنون التي تخدم السخرية البصرية كونه « *فن بسيط وبالتالي يمكن تعريفه بأنه مقالة من ألف كلمة* »[43]، ولكن مع التطور التكنولوجي وظهور أدوات التواصل الاجتماعي ظهر نوع جديد من الكوميديا البصرية: « *إن جيل الخمسينات والستينات كان لديهم ثقة في الثقافة البصرية للقارئ وبالتالي انتشرت الكوميديا البصرية التي تعتمد على الكاريكاتير بدون كلام ولكن مع تدهور التعليم والثقافة البصرية في مصر وظهور نوع أخر من الكاريكاتير مثل كاريكاتير مصطفى حسين وأحمد رجب الذي كان يسيطر عليه التعليق، تعوّد الجمهور على الإفيهات اللفظية أكثر من الإفيهات البصرية (...) ثم بدأت تعود الثقافة البصرية مرة أخرى مع ظهور أدوات التواصل الاجتماعي والاعتماد على الصورة في الكوميديا سواء بالكاريكاتير أو الكوميكس* [44]».

فقد انتشرت عقب ثورة 25 يناير العديد من الصفحات التي تقدم كوميكس تنتقد أحداث الحياة السياسية بطريقة ساخرة إيماناً من مؤسسيها بأن « *النقد السياسي من خلال السخرية أكثر جدوى وأكثر ايصالاً للمعلومة من الجدية التي نراها ونسمعها في اللقاءات على شاشات التليفزيون* [45] » التي تستخدم

[41] مقابلة مع الكاتب الساخر سامح سمير.
[42] المرجع السابق.
[43] مقابلة مع رسام الكاريكاتير سامح سمير.
[44] مقابلة مع رسام الكاريكاتير مخلوف.
[45] مقابلة مع حسام حامد.

لغة الخشب، « *فقوة السخرية تكمن في كونها أسرع من الكلام ولأن الضغوط السياسية تتطلب وجود عالم أخر موازي للتهوين والتخفيف عن الناس بعيداً عن الجدال، فضلاً عن أن الناس تحترم الإبداع* [46]».

وتعتمد هذه الكوميكس على ما يسمى بالترولات « Troll Faces » أو ال « Memes » وهي « *شخصيات ضاحكة أو باكية أو حتى في مواقف محرجة ولكن بصورة هزلية ضاحكة لتزيد طرافة على الموقف التي تم وضع الصورة بها وهي ظاهرة انتشرت في السنوات الأخيرة على مواقع التواصل الاجتماعي*[47] ».

ومن أمثلة هذه الصفحات الساخرة صفحة « مجتمع أساحبي الساخر Asa7be Sarcasm Society »، وقد ظهرت شخصية أساحبي وشاع تداولها على الفيسبوك عقب ثورة 25 يناير، وهي شخصية كاريكاتيرية استوحى مؤلفها حسام حامد تسميتها من سائقي الميكروباص المعروفين بتعاملهم بلغة ولهجة معينة: أساحبي، أزميلي.. إلخ.، وقد تجسدت شخصية أساحبي في بادئ الأمر في الترول العالمي (ياو مينج) المُقتبَس من وجه لاعب كرة السلة ياو مينج وهو يضحك:

والهدف من إنشاء هذه الصفحة في بادئ الأمر لم يكن سياسياً حيث بدأت الصفحة بكوميكس تتناول أحداث الحياة اليومية: « *هي صفحة عادية بحط فيها غل اللي بشوفو سواء في بيتنا أو في السياسة (...) وأكتر حاجة عجبت الناس هي إن الصفحة كسرت الملل إلي موجود في التلفزيون ... ثم بدأ الكلام على السياسة فتحولت الصفحة من إجتماعية إلى سياسية بحت*[48]». وعادة تكون هذه الكوميكس إما رد فعل للأخبار والأحداث أو في بعض الأحيان يتم اختيار قضية معينة ويُقام عليها كوميكس من خلال مزج أحدى الترولات بعبارة ساخرة.

---

[46] مقابلة مع شادي صدقي.

[47] http://www.elbilad.net/article/detail?id=12422

[48] مقابلة مع حسام حامد.

ومع الوقت تنوع شكل الإبداع وتم ابتكار ترولات جديدة خاصة بالمجتمع المصري عبارة عن « *وجوه.. تعبيرات شبه ثابتة، ولكن تتكرر في حالات مختلفة، بشكل أقرب إلى الأنماط المحددة لمواقف محددة، ذلك أن مهمتها الأساسية هنا: تلخيص جملة توضح الرأي أو ردة الفعل بشكل مرتبط أكثر بالوعي الجمعي المصري*[49] ». فانتشرت ترولات تعتمد على اقتباس جمل من الأفلام والأغاني والبرامج مثل: « *ترولات الأفلام القديمة التي تجمع صورة وجملة شهيرة لفنان مثل "أحلى من الشرف مفيش" أو "أنا إنسان لعين يا أخي"، وترولات الإسلاميين التي انتشرت في فترة حكم الإخوان المسلمين مثل "دونت ميكس"، و"العدو يأتيك من حيث تترفع أنت عن أن تتداخل معه"، و"منحدر الصعود"، وترولات باسم يوسف وفريق البرنامج مثل: "عبط إحنا يا عصام"، أو "مآساااااه"، وترولات الرئيس عبد الفتاح السيسي مثل "إنتوا مش عارفين إنكوا نور عينينا ولا إيه"، و"أنا مش مش عايز أديك، أنا مش قادر أديك"، و"هتاكلوا مصر يعني"* »[50]، وغير ذلك من الترولات التي تظهر وتتجدد بشكل يومي.

بصفة عامة يكمن القول أن السخرية أصبحت أداة من أدوات تشكيل الوعي، فنتيجة عدة عوامل منها غياب التعليم ومن ثم قلة الاعتماد على القراءة والمقالات ظهرت الحاجة إلى « *نوع من أنواع التعليم الشعبي الموازي من خلال النكت والسخرية اللي بتضحك الناس لكن في نفس الوقت تعطي الوعي السياسي*[51] »، وهنا يظهر دور السخرية الأكثر اعتماداً على الثقافة البصرية .

[49] محمد علم الهدى، « عالم السخرية على الإنترنت من "أيام سودا" إلى "أنا مش قادر أديك" »، مارس 2015، http://www.za2ed18.com/محمد-علم-الهدى-يكتب-عالم-السخرية-على-ال/

[50] المرجع السابق.

[51] مقابلة مع رسّام الكاريكاتير سامح سمير.

الخاتمة

من كل ما سبق يمكن القول بأن السخرية في مصر أصبحت من أهم أدوات المقاومة والتصدي للقهر والكبت السياسي فقد أصبحت في حد ذاتها مساحة هامة للتعبير عن عدم الرضا، فبفضلها أصبح التعامل مع الأحداث ومواجهة المصائب أقل وطأة وظهر الابداع في وسائل أخرى موازية اتسمت بقلة أو غياب الرقابة.

كذلك يمكن استنتاج أن السخرية تُعد أداة مُمكنة للتغيير أي « *من الممكن أن يكون لها تأثير ولكن ليس دائماً، حيث أن هناك عوامل أخرى. فليس لأن السخرية نجحت مرة هذا يعني أنها ستنجح دائماً، حيث أن تأثيرها مشروط بتشكيلة عوامل أخرى. فالسخرية كانت أداة فعالة في إسقاط الإخوان ولكن هذا لا يعني أنها ستكون أداة فعالة في إسقاط أي نظام أخر. فتأثير السخرية يعتمد على السياق الذي تعمل فيه وعلى تشكيلة الواقع الذي تحدث فيه، ففي ظروف معينة وسياق معين ممكن أن تكون أداة فعالة، وفي ظروف أخرى وسياق أخر ممكن أن تكون أداة تنفيس فقط، وفي سياق أخر ممكن أن تكون غير مقبولة أو مسموح بها بالمرة*[52] ». وبالتالي يمكن القول أنه بصفة عامة « *أثبتت التجارب عبر التاريخ أنه لا يوجد فعل واحد من شأنه أن يكون أداة للتغيير، فالمظاهرات بمفردها لا يمكن أن تكون أداة للتغيير والثورة بمفردها لا يمكن أن تكون أداة للتغيير، فالتغيير يحدث في إطار منظومة متكاملة تكون السخرية إحدى عواملها*[53] ».

ولكن مما لا شك فيه أن السخرية بعد ثورة 25 يناير أصبحت « *أداة لبناء الوعي وهو السبب الذي يفسر حساسية السلطة تجاه هذه السخرية في الفترة بعد 30 يونيو أكثر من حساسيتها تجاه النقد العادي، فنفس المحتوى الذي يُكتب في مقال جاد واكاديمي عندما يقال بأسلوب ساخر يثير الاستياء أكثر، مما يدل على خطر السخرية*[54] ».

والسخرية تمثل كذلك "الترمومیتر" الذي يمكن به قياس المزاج العام للشعب وهو الأمر الذي جعل الكثير من الحكام يهتمون بمتابعة تطورات السخرية السياسية في بلادهم. وفي هذا الإطار يمكن أن نشير

---

[52] مقابلة مع الكاتب الساخر سامح سمير.
[53] مقابلة مع الكاتب بلال فضل.
[54] المرجع السابق.

إلى حدوث تطور في ادراك السلطة لأهمية السخرية والرغبة في تتبعها، فعلى سبيل المثال عقب هزيمة 1967 أمر الرئيس عبد الناصر بتجميع كافة النكت التي تم إلقائها بل ودعا الشعب في أول خطاب له إلى مجلس الأمة عقب الهزيمة أن يكف عن النكت محذراً من الضرر الذي ممكن أن يلحق بالمجتمع من جراء إلقائها وخاصة على الأمن القومي قائلاً: « *الشعب المصري يسمع أي حاجة وينكت عليها .. تعرفوا النكت اللي طلعت في الأيام اللي فاتت؟ أنا عارف شعبنا، طبيعته كده وأنا لم آخذ الموضوع بطريقة جدية وعارف الشعب المصري كويس.. ما هو أنا منه واتربيت فيه، كل واحد أما يقابل واحد يقول له سمعت آخر نكتة؟ ويحكي .. وممكن يستخدمونا بأن تقال بعض النكت اللي تؤثر على كرامتنا، كرامتنا كشعب له طلائع قاتلت وماتت. (...) ولكن أنا عارف الشعب المصري.. ده شعب عمره 7 آلاف سنة وقهر كل الغزاة وكسرهم، خلص عليهم من قمبيز إلى نابليون وقعد ينكت عليهم، شعب له فلسفة وطنية وشعب صلب قوي، لكن هو شعب يحب النكتة، يمسك أي حاجة وينكت عليها وأنا اعتبر إن دي ميزة لأنه بيفلسف بيها الأمور، الأمور، لكن أعدائنا ممكن يستغلوها فينا فلازم نكون ناصحين*[55] ».

كذلك كان السادات يهتم بمتابعة النكت التي تُقال عنه بل وكان يتعامل معها كونها مؤشراً يعتمد عليه في اتخاذ بعض القرارات، بعكس الحال في فترة حكم مبارك الذي لم يكن لديه هذا الاهتمام بالنكت.[56] كذلك اعتُبرت فترة حكم الإخوان المسلمين من أزهى عصور السخرية بكل أشكالها، لنشهد بعد ذلك حالة من الضيق المستمر وعدم الرضا ولكن من الجمهور المُتلقي : « *ممكن أرسم رسمة عن الحكومة والحكومة لا تنزعج منها لكن المؤيدين لها ينزعجوا*[57] ».

وتمكنا النقطة السابقة من الإجابة على التساؤل الخاص بعلاقة السخرية بطبيعة النظام حيث يمكن القول أنه بصفة عامة وفي الحالة المصرية بصفة خاصة، تُعد السخرية أداة يمكن من خلالها قياس درجات استبداد النظام: « *الأنظمة الاستبدادية درجات، فنظام مبارك كان مستبد وكان متصور إن توظيف مساحات الحرية يفيده وهذا النوع من الاستبداد الرخو التي تكون قبضته غير باطشة كان يعطي مساحات للسخرية أما الاستبداد الباطش فإنه يجعل التعامل مع السخرية يتم بصورة أكثر جدية وبالتالي يمكن القول أنه كلما زادت المساحات الرخوة كلما زادت مساحة السخرية*[58] ».

---

[55] عادل حموده، **النكته السياسية، كيف يسخر المصريون من حكامهم**، مرجع سابق، ص30.
[56] المرجع السابق.
[57] مقابلة مع رسّام الكاريكاتير مخلوف.
[58] مقابلة مع الكاتب بلال فضل.

وبالإضافة إلى كون السخرية أداة للمقاومة فقد أصبحت أيضاً أداة تُسهم في التأريخ للأحداث كما أنها أصبحت في حد ذاتها وسيلة إخبارية: « *ممكن افتح الفيسبوك ألاقي سامح سمير كاتب بوست يهّلك من الضحك، البوست ده بيبقى خبر بالنسبة لي، يعني بعض الناس بتقلش على حاجات فأعرف إن دي اللي موجودة في الأخبار انهاردة*[59] »، « *باسم يوسف عوّد الناس على جرعة كوميديا إسبوعية الناس ماكنتش بتتفرج فيه على برامج وتيجي آخر الأسبوع تتفرج على باسم يوسف فتعرف إللي بيحصل، فهو كان بيحقق تأريخ*[60] ».

يمكن أن نلاحظ أيضاً أن السخرية قد ساهمت في خلق « أيقونات ارتبطت بالثورة »، فعلى سبيل المثال، في الحادي عشر من فبراير جاء قرار الرئيس مبارك بالتنحي وهو القرار الذي نقله عمر سليمان من خلال خطابه الذي تسبب لاحقاً في ظهور أيقونة من أيقونات الثورة، حيث ترك الشعب المصري الخطاب وما يحمله من رسالة ليركز على الرجل الذي كان يقف خلف عمر سليمان أثناء إلقاء الخطاب، وأصبح الحديث عن « الراجل اللي واقف ورا عمر سليمان » أكثر من الحديث عن تنحي الرئيس نفسه، بل وفي غضون أيام قليلة أصبح من أشهر الشخصيات على مواقع التواصل الإجتماعي.

كما ساهمت السخرية كذلك في خلق مفردات ولغة حوار جديدة يستخدمها المساندون للثورة، فأصبحنا نستخدمها في مواقف من الحياة اليومية مثل: « دونت ميكس »، و« منحدر الصعود »، و« أنا مش مش عارف أديك أنا مش قادر أديك »، و« انتوا مش عارفين انكوا نور عنينا ولا إيه » و« يلا يا عمرو » وغيرها من الجمل.

أما عن تساؤل الدراسة الرئيسي، يمكن أن نلاحظ مما سبق عرضه أن السخرية قد مرت بالعديد من التغيرات سواء كان ذلك من حيث أدوات انتشارها أو من حيث الموضوعات محل السخرية، فقد كانت السخرية تستهدف بالأساس سياسات الحكام أكثر من مهاجمتها لشخصهم، وحتى في الحالات التي شهدت انتقاداً لشخص الرئيس لم يكن ذلك يتم بصورة التي أصبح عليها الحال بعد ثورة ٢٥ يناير.

[59] مقابلة مع نايرة عجَه.
[60] مقابلة مع رسَام الكاريكاتير مخلوف.

بصفة عامة يمكن القول بأن « *السخرية عاملة ذي الموضة التي تتغير بتغير الظروف والأحداث المحيطة، وحدث مثل ثورة ٢٥ يناير أحدث تغيير في الفن (...) وظهر نوع كوميديا جديد متمثل في التويتة أو في الكتابة الصغيرة أو في الصورة أو في إعادة استخدام مشاهد من أفلام قديمة وربطها بأحداث جديدة (...) وأهم حاجة حصلت إن الناس أصبحت أجرأ في إلقاء النكتة كذلك أصبحت النكتة البصرية بسبب الميدان وأدوات التواصل الاجتماعي موجودة أكتر* [61] »، « *فقديماً كانت وسائل التعبير محكومة بقوة مركزية هي التي تفتح القنوات وتغلقها، ولكن مع وجود أدوات التواصل الاجتماعي لا توجد مثل هذه السيطرة المركزية التي كانت تحكم إيه يطلع وإيه ما يطلعش (...) وأصبحت الإباحية والانفلات اللفظي سمة من سمات الخطاب المقاوم بصفة عامة وليس فقط السخرية* [62] »، ويظهر ذلك جلياً من خلال الرجوع لصفحات آلاف الناشطين على الفيسبوك.

أخيراً يمكن القول أن ثورة يناير قد أنتجت قوالب وخطاب ومفردات جديدة للسخرية، فقد أصبحت السخرية في أعقاب الثورة مساحة عامة تتضمن أشكال جديدة، وهو ما ساعد عليه أدوات التواصل الاجتماعي التي مكنت الجمهور من التوسع في الوصول إلى كم من الأشكال الساخرة المتنوعة والتي لم يكن يستطع الوصول إليها من قبل، كما أدت كذلك إلى انتشار مفردات لم يكن المتعلمون يستخدمونها علناً كونها مفردات أكثر جرأة في تناول الأمور الجنسية والألفاظ الخارجة : « *بغض النظر عن الحكم القيمي ووفقاً للحكم التوصيفي، أنتجت ثورة يناير خطاباً ساخراً جديداً تماماً وخلقت نمط وإيقاع ومفردات جديدة، فقد أصبح هناك خطاب جديد وأفكار جديدة وطريقة تعبير جديدة مقارنةً بما كان سائداً قبل ذلك، من حيث الايقاع والقالب والمرجعيات المستخدمة* [63] ».

[61] المرجع السابق.
[62] مقابلة مع الكاتب الساخر سامح سمير.
[63] المرجع السابق.

قائمة المراجع

- **مراجع باللغة العربية**

أمل حمادة، كيف يحتج المصريون على السلطة؟ أشكال جديدة أم استمرار للقديم؟!، مجلة الديمقراطية، العدد 59، يوليو 2015، ص 132 – 137.

أسامة دياب، ما بعد الباسميوسفية ولا مركزية السخرية، 2014، http://www.madamasr.com/ar/opinion/ما-بعد-الباسميوسفية-ولا-مركزية-السخرية

أحمد صقر، المسرح السياسي في مصر والعالم العربي، الموقع الالكتروني للأستاذ الدكتور أحمد صقر، http://drahmedsaker.com/reports/r41

ايهاب حمدي، في نظريات الاتصال والتقنية، 2014. http://alexandriamedia.blogspot.fr/2014/05/blog-post.html

بلال فضل، **جمهورية العبث**، دار الشروق، 2015.

حيدر الجراح، المجال العام، شبكة النبأ المعلوماتية، 2015. http://annabaa.org/arabic/community/1042

دريس نوري، **استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية: دراسة ميدانية على حديقة التسلية في مدينة سطيف وساحة طاوس عمروش في مدينة بجاية**، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد منتوري، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، 2006. http://bu.umc.edu.dz/theses/sociologie/ANOU2255.pdf

سارة منير، السخرية السياسية في مصر بعد 25 يناير، مجلة الديمقراطية، العدد 59، يوليو 2015، ص 138 – 142.

شريف درويش اللبان، الإعلام الساخر(2): من يعقوب صنوع إلى أحمد رجب وباسم يوسف، المركز العربي للبحوث والدراسات، مايو 2014، 1M7.Ve#10810&issueno=477211&article=37http://archive.aawsat.com/details.asp?section=NKeDGc

عادل حموده، **النكتة السياسية، كيف يسخر المصريون من حكامهم**، دار سفنكس للطباعة والنشر، 1990.

عادل اسكندر، برامج السخرية والكوميديا في مصر بعد الثورة، الملف المصري: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد 11، يوليو 2015، ص 25–27.

عادل عبد الصادق، شعارات ثورة 25 يناير: قراءة في المغزى والدلالات، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، 2011، 11http://accronline.com/article_detail.aspx?id=

عادل مايكل، السخرية والسياسة في مصر من ابن مماتي إلى باسم يوسف، اليوم السابع، يناير 2013، 911086.com/News.asp?NewsID=7http://www.youm

علي خضير، الحزين الباكي .. صلاح جاهين، روز اليوسف، ديسمبر 2012، http://www.rosaelyoussef.com/news/8329/

عمر طاهر، سنين في الدرج – 1983، جريدة التحرير، 2015. http://www.tahrirnews.com/posts/354464

مايسة ناجى، نكت المصريين التنكيت والتبكيت. ألف صنف وصنف، ديوان الأهرام، ابريل 2012، http://ahramdigital.org.eg/articles.aspx?Serial

محمد علم الهدى، عالم السخرية على الإنترنت من «أيام سودا» إلى «أنا مش قادر أديك»، مارس 2015، http://www.za2ed18.com/ محمد-علم-الهدى-يكتب-عالم-السخرية-على-ال

معتز نادي وأيمن شعبان، جلال عامر..الجنرال الساخر، المصري اليوم، فبراير 2014، \http://m.almasryalyoum.com/news/details/392227

فتح الله خليفة، سيكولوجية الضحك، محاضرة في منتدى أماسي البيضاء بمدينة البيضاء الليبية، 20 ابريل 2009. http://amasybeda.blogspot.fr/2009/04/blog-post_21.html

هـــــدير المهـــــدوي، الســـــخرية كوســـــيلة للمقاومـــــة، الســـــفير العربـــــي، ينـــــاير 2014، 1529http://arabi.assafir.com/article.asp?aid=

هـــــاني ســـــمير علـــــي، الســـــخرية والسياســـــة .. زواج كـــــاثوليكي، قُـــــل، فبرايـــــر 2014، zFiYKMVN 5.U#361http://qoll.org/UI/Front/Inner.aspx?Aid=

يحيى اليحياوي، في تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة، مركز الجزيرة للدراسات، يونيو 2014. .htm20131114957262068853/11/2013http://studies.aljazeera.net/mediastudies/

- **مراجع باللغة الإنجليزية**

Muhammad A. BADARNEH, « Carnivalesque politics: A Bakhtinian case study of contemporary Arab political humor », *Humor: International Journal of Humor Research*, Volume 24, Issue 3.

Mona ABAZA, Satire, « Laughter and Mourning in Cairo's Graffiti », Orient-Institut Studies, 2013.

Khaled AL MASAEED, « The Egyptian Revolution of 2011 and the Power of Its Slogans: A Critical Discourse Analysis », Cross-Cultural Communication, 2013, Vol. 9.

Fawwaz AL-ABD AL-HAQ & Abdullah ABDELHAMEED HUSEIN, « The slogans of the Tunisian and Egyptian Revolutions: A sociolinguistic study », 2011.
http://media.leidenuniv.nl/legacy/fawwaz.pdf

Bahaa-eddin ABDULHASSAN HASSAN, « The Pragmatics of Humor: January 25th Revolution and Occupy Wall Street », Mediterranean Journal of Social Sciences, Vol. 4, 2013.

Blanca CAMPS-FEBRER,« Political Humor as a confrontational tool against the syrian regime – A study case: Syria 15th March 2011 – 15th May 2012 », Institut Catalã Internacional, 2012.

Dalia E. HAMMOUD, « Egyptianising Politics/Politicising Egyptians: An analysis of political jokes », *IOSR Journal of Humanities and Social Science (IOSR-JHSS)*, Volume 19, Issue 6, June 2014.

Harry H. HILLER, « Humor and Hostility: A neglected aspect of social movement analysis », Qualitative Sociology, 1983, Vol. 6, Issue 3.

Emily GOLSON & Loubna YOUSSEF & Amanda FIELDS, *Toward, Around, and Away from Tahrir: Tracking Emerging Expressions of Egyptian identity*, Cambridge Scholars publishing, 2014, 157 p.

Nilüfer GÖLE, « Démocratie de la place publique : l'anatomie du mouvement Gezi », La nouvelle revue des sciences sociales, 2014.

Satenik HARUTYUNYAN, « Humor: Egypt's Revolutionary Ally », 2012, The blog of Cartoon Movement.
http://blog.cartoonmovement.com/2012/07/humor-egypts-revolutionary-ally.html

Majken JUL SORENSEN, « Humor as a Serious Strategy of Nonviolent resistance to oppression », Peaces & Change, Vol. 33, N°2, April 2008.

Egon LARSEN, *Wit as a Weapon: The Political Joke in History*, London,1980, p. 3.

El Mustaph LAHLALI, « The discourse of Egyptian Slogans: from "Long Live Sir" to "Down with the Dictator », Arab Media & Society, 2014.

Anna Louie SUSMAN, « Laugh, O Revolution: Humor in the Egyptian Uprising », 2011. http://cbldf.org/2012/08/egyptian-humor-fuels-revolution/

Megan LEBOEUF, « The Power of Ridicule: An Analysis of Satire », University of Rhode Island, 2007.

Skye MACDONALD, « Exploring the Process of Inference Generation in Sarcasm: A Review of Normal and Clinical Studies », Brain and Language, 68, 1999.

Mohamed M. HELMY & Sabine FRERICHS, « Stripping the Boss: The Powerful Role of Humor in the Egyptian Revolution 2011 », Integr Psych Behav (47), 2013, pp 450 – 481.

Joshua NORMAN, « Have Your In-Laws Mubaraked? … and Other Egypt Humor », 2011. http://www.cbsnews.com/news/have-your-in-laws-mubaraked-and-other-egypt-humor/

George ORWELL, Funny, but not Vulgar, The Collected Essays, Journalism and Letters of George Orwell, 1968.

Ozan O. VAROL, « Revolutionary Huumor », in: *Southern California Interdisciplinary Law Journal*, 2014, Vol. 23.

Ethan PEARLSTEIN, « Comedy as revolution: Bassem Youssef and the rise and fall of Egyptian satire ».

http://revolutionegypt.blogs.wm.edu/2014/10/19/comedy-as-revolution-bassem-youssef-and-the-rise-and-fall-of-egyptian-satire/

Samer S. SHEHATA, « The Politics of Laugher: Nasser, Sadate, and Mubarek in Egyptian Political Jokes », Folklore, Vol.103, 1992.

Liesbeth ZACK, « "LEAVE, I WANT TO HAVE A SHOWER!" THE USE OF HUMOUR ON THE SIGNS AND BANNERS SEEN DURING THE DEMONSTRATIONS IN TAHRIR SQUARE, Amsterdam Center for Language and Communication, 2012.

Ben ZIMMER, « How the War of Words Was Won in Cairo », *New York Times*. http://www.nytimes.com/2011/02/13/weekinreview/13zimmer.html?_r=0

- **مراجع باللغة الفرنسية**

Ibrahim AMR HELMY, « La nokta égyptienne ou l'absolu de la souveraineté », *Revue du monde musulman et de la Méditerranée*, N°77-78, 1995. pp. 199-212.

Henri BERGSON, *Le rire. Essai sur la signification du comique*, Paris, 1924, Éditions Alcan.

Alain BROSSAT, « Pauvre Lénine l'humour populaire soviétique », in: *Mots*, septembre 1994, N°40, Écoute, échos du politique, pp 113 – 122.

Jean-Marc BESSE, « L'espace public: espace politique et paysage familier. Rencontres de l'espace public, Lille Métropole Communauté Urbaine », 2006, Lille. <halshs-00191977>

Brigitte BOUQUET et Jacques RIFFAULT, « L'humour dans les diverses formes du Rire », *in* Du l'humour et du rire dans le travail social, Vie Sociale, N°2, 2010. http://www.travail-social.com/L-humour-dans-les-diverses-formes

Mikaël CHAMBRU, « Sébastien PORTE et Cyril CAVALIE, Un nouvel art de militer. Happenings, luttes festives et actions directes, *Éditions alternatives*, Paris, 2009, 144p.», *Revue Critique d'Ecologie Politique*, 2010. http://ecorev.org/spip.php?article741

Jean-Charles CHABANNE – Bref survol des théories du comique Chapitre extrait de Le comique, 2002, Bibliotheque Gallimard, « Registre ». <hal-00917979>

Boris CYRULNIK & Jean-Pierre POURTOIS, *École et résilience*, Odile Jacob, 2007 - Psychology - 448 pages

Dina DARWICH, « La révolution à gorge déployée », *Al-Ahram Hebdo* [En ligne]. http://hebdo.ahram.org.eg/arab/ahram/2011/2/23/socp0.htm

Nancy FRASER, « Repenser l'espace public : une contribution à la critique de la démocratie réellement existante », dans E. RENAULT et Y. SINTOMER (dir), Où en est la théorie critique?, Paris, La Découverte, 2003, pp.103-134.

Chahinaz GHEITH & Abir TALEB, « Satire: Un chemin à se frayer », *Al Ahram Hebdo*, http://hebdo.ahram.org.eg/NewsContent/971/7/133/2407/Satire--Un-chemin-%C3%A0-se-frayer.aspx

Chahinaz GHEITH, « Spectacles: Le rire, une affaire sérieuse », *Al- Ahram Hebdo* [En ligne], mai 2013. http://hebdo.ahram.org.eg/NewsContent/973/34/107/2595/Spectacles-Le-rire,-une-affaire-s%C3%A9rieuse.aspx

Sahar KHAMIS, « Le rôle des médias dans les transitions arabes : comment le "cyber-activisme" est en train de bouleverser les panoramas politique et communicationnel », Annuaire IEMed de la Méditerranée, 2013, pp. 59 - 64, disponible en ligne sur : http://www.iemed.org/observatori-fr/arees-danalisi/arxius-adjunts/anuari/iemed-2013/Khamis%20role%20des%20media%20ArabES%20%20FR.pdf

Bernard LAMIZET, *Les lieux de la communication*, Mardaga, 1992.

Olivier MONGIN, « Métamorphose de l'espace public - L'espace public: au singulier et au pluriel », Esprit, novembre 2011.

Sihem NAJAR, *Le cyberactivisme au Maghreb et dans le monde arabe*, Editions Karthala et IRMC, 2013, p. 64.

Mark PETERSON, « Humour - Comment le rire a changé l'Égypte », *Le Nouvel Afrique* [En ligne], septembre 2012. http://www.lenouvelafrique.net/article.php?id_article=790&PHPSESSID=789ff4d7c0b71542da6f8009b58ecde0

Inès PASQUERON DE FOMMERVAUL, «Je ris donc je suis". Le rire et l'humour au carrefour de deux processus identitaires : socialisation et individuation », Social Anthropology and ethnology, 2012.

Vladimir SLONSKA, « Nouveaux médias arabes: la politique du rire », Horizons Médiatiques [En ligne], mai 2013. http://www.horizonsmediatiques.fr/2013/05/03/nouveaux-medias-arabes-la-politique-du-ririe/

Mohamed THARWAT ABDELHAMID, « La fin de Bassem Youssef ou l'extinction des libertés », *Le Huffington Post* [En ligne], juin 2014. http://www.huffingtonpost.fr/mohamed-tharwat-abdelhamid/egypte-la-fin-de-bassem-youssef-ou-lextinction-des-libertes_b_5438479.html?utm_hp_ref=tw

Bassem YOUSSEF, « Être humoriste aujourd'hui en Égypte », conférence à l'École Normale Supérieure, Paris, 18 avril 2013.

Anonyme, « LES THÉORIES DU RIRE... POURQUOI C'EST DRÔLE? », 2013. http://matv.ca/montreal/matv-blogue/mes-articles/2013-03-20-les-theories-du-rire-pourquoi-c-est-drole